ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Center and Marginalization in Mohsen Ramli's Novel Gardens of the President

Hawraa aziz oleiwi

MA in Translation
Al- qasim green University

college of water resources engineering /water resources managegement engineering department

***Keywords*:**
center and margin politically,
center and margin socially,
center and margin emotionally

ARTICLE INFO

Article history:
Received 22 June 2020
Accepted 3 Aug 2020
Available online 26 Nov 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

summary

The study deals with the center and the margins in Mohsen Ramil's novel Gardens of the President. It delves deeply into the Iraqi society during a particular era of Iraq's history, namely 1980's and its aftermath. The novel represents the Iraqi suffering concerning marginalization at the hands of a dictatorial regime that directed and controlled Iraq's destiny and its wealth. It further represents certain social, cultural, and emotional aspects that marked the Iraqi society during that time.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.2020.06

المركز والهامش في رواية "حدائق الرئيس" للروائي محسن الرملي"

م.د. حوراء عزيز عليوي/ جامعة القاسم الخضراء/ كلية هندسة الموارد المائية

الخلاصة:

اتسعت دائرة البحث في دلالة المركز والهامش في الدراسات النقدية ولا سيما في مرحلة ما بعد البنيوية، وكشف هذا المكون الثنائي عن وجود ثغرات في الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية . وقد أدى الأدب ولا سيما الرواية في التعبير بشكل واضح عن المركز والهامش وسلطت الضوء على التمييز الواضح بينهما فضلاً عن تمثيل الأدوار التي يؤديها في المجتمع.

وقد جاءت دراستنا عن المركز والهامش في رواية من روايات محسن الرملي ألا وهي "حدائق

الرئيس" لتغوص في أعماق المجتمع العراقي خلال حقبة تاريخية من حقب العراق ألا وهي الثمانينات صعودًا إلى ما بعدها لتعبر عن معاناة شعب ذاق وبال التهميش والقهر على يد سلطة ظالمة هيمنت على مقدرات الشعب ورفعت السوط لجلده لتجعله خاضعًا خانعًا لها فضلاً عن أشكال وصور اِتخذها المركز والهامش اجتماعيًا وثقافيًا وعاطفيًا حاولت هذه الدراسة الغوص فيها عبر تجلي أشكالها وصورها.

الكلمات المفتاحية : نبذة عن الروائي محسن الرملي، مفهوم المركز والهامش، المركز والهامش سياسيًا ، المركز والهامش اجتماعيًا.

المقدمة:

تسلط رواية " حديقة الرئيس" الضوء على حقبة تاريخية مهمة في العراق ابتداءً من مرحلة الثمانينات صعودًا إلى ما مرّ به من تصعيد سياسي واجتماعي وثقافي، ومن المعروف عن الروائي محسن الرملي أنَّ رواياته تعكس الواقع العراقي بكل تجلياته بما فيها من تسلط طبقة معينة حازت المركزية وهيمنت على الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي في مقابل طبقة أخرى هُمِّشت وذاقت على يد السلطة المركزية أصنافًا من التهميش والإخضاع مما حمّلها دلالات سلبية وجعلها تحت سيطرة السلطة/ المركز .

وقد صوَّر الروائي واقعًا مأساويًا دمويًا، مرّ به العراق خلال تلك المدة التي أشرنا إليها وشهد العراق خلالها أولى الحروب الدموية التي استمرت لسنوات متعددة حصدت خلالها أرواح الآلاف من العراقيين مرورًا بحرب الخليج في التسعينات إلى ما بعد الألفية الثالثة، فتستعرض الرواية المعاناة التي مرَّ بها الإنسان العراقي وأسباب تلك المعاناة التي تمثلت في قهر المركز للهامش، فقد تمكنت السلطة المركزية خلال تلك المدة من بسط نفوذها على الشعب ووظفت قدراتها وإمكاناتها لأجل تحقيق أهدافها الخاصة، دون أنْ تلتفت إلى معاناة الشعب أو تحاول أنْ تخفف من السوط المسلط عليها .

نبذة عن الروائي محسن الرملي :

ولد الكاتب والشاعر العراقي محسن الرملي سنة ١٩٦٧ في قضاء الشرقاط قرية (سُديرة) شمال العراق . حصل على الدكتوراه مع مرتبة الشرف بتقدير ممتاز من جامعة مدريد (أوتونوما) بكلية الفلسفة والآداب عن رسالته (تأثيرات الثقافة الإسلامية في الكيخوته) عام . **2003**

مقيم في اسبانيا منذ عام ١٩٩٥، يكتب باللغتين العربية والإسبانية، وقد ترجم عددًا من نصوصه إلى العديد من اللغات، منها : الانكليزية والإسبانية والفرنسية والألمانية والتركية والبرتغالية والروسية والكردية .

له العديد من النشاطات الثقافية فشارك في ندوات ومؤتمرات ومعارض الكتاب في العراق والأردن

والمغرب وأسبانيا والبرتغال والكويت ولوكسمبورغ وقطر وكولومبيا والجزائر وليبيا والمكسيك وكوستاريكا والإمارات .

في عام ١٩٩٧ تعاون مع الكاتب عبد الهادي سعدون في تأسيس دار ومجلة . يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة سانت لويس الأمريكية في مدريد. له العديد من المؤلفات الادبية ، نخص بالذكر منها رواياته : تمر الأصابع، الفتيت المبعثر، حديقة الرئيس، ذئبة الحب والكتب . [1]

المركز والهامش في اللغة والاصطلاح :

المركز والهامش في اللغة

المركز لغةً : في لسان العرب " ركز" : ركز المركز، غرزك شيئًا منتصبًا كالرمح ونحوه وتركيزه ركزًا في مركزه . وقد ركزه ، يركزه ويركزه ركزًا وركزه غرزه في الأرض]....[ومركز الرجل موضعه].....[ومركز الدائرة وسطها . [2] "

وفي المعجم الوسيط وردت كلمة ركز " ركز شيئًا في شيء ركزًا : أقرَّه وأثبته. ويقال : ركز السهم في الأرض : غرزه]....[. الرِّكاز : ما ركزه الله تعالى في الأرض من المعادن في حالتها الطبيعية .].....[ومركز الجند موضعهم الذي أُمروا أنْ يرابطوا به ويلزموه ولا يبرحوه. ومركز الرجل : منزلته ومكانته الحسية والمعنوية. [3] "

وهكذا نجد أنَّ المركز في اللغة يحمل معنى الثابت والمستقر وكل ما هو ثمين والمنزلة والمكانة العالية .

الهامش لغةً : في لسان العرب لابن منظور يوضح أنَّ : " همش : الهمشة الكلام والحركة . هَمَش وهَمِش القوم فهم يهمَشون ويهمِشون وتهامشوا والمرأة همش الحديث بالتحريك تكثر الكلام وتجلب . ويقول ابن الاعرابي : الهَمَش والهَمْش كثرة الكلام في غير صواب وأنشد:

وهَمِشوا بكلام غير حسن [4]"

وجاء في المعجم الوسيط : " همَّش الكتاب : علَّق على هامشه ما يعنّ له .].....[. الهامش : حاشية الكتاب . وفلان يعيش على الهامش : لم يدخل في زحمة الناس. [5]"

وبهذا يتضح لنا أنَّ من سمات الهامش الأساسية هو أنَّه يقوم بالحركة والجلبة لأجل لفت الانتباه إليه، والهامش كثرة الكلام والحركة، ويكون بعيدًا عن الوسط أي المركز الذي يدور حوله الاهتمام.

المركز والهامش اِصطلاحًا :

إنَّ مفهوم المركز والهامش يبنى على " العلاقة بين القلب النابض بالقوة ومحيطها، وهذه القوة قد

تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية، ولا يمكن الفصل بينهما لأنَّهما متلازمان، فما إن يتم تحديد النواة – البؤرة- حتى يتجلى المحيط الذي يدور في فلكها [6]"، وإن تعددت الأنوية فإنَّه يصعب تحديد المركز والهامش، لأنَّ العلاقات تتعدد. [7]

ويتداخل مصطلح المركز والهامش في مجالات عديدة ، منها : سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية . كما أنَّ المركز والهامش في ثقافتنا العربية " ما زالا ظاهرتين قويتين وثابتتين ثبوتًا راسخًا، تقسِّمان حياتنا الثقافية تقسيمًا بطريرياكيًا أحاديًا، وهو ما يتوضح بجلاء في أغلب ممارساتنا الثقافية وميادياننا الاجتماعية. [8]"

ومن الطبيعي أنْ تكون عجلة مؤسساتنا دائرة بين ما هو مركزي مهملة وما هو هامشي ومنسي الذي قد يمتلك من الطاقات والفعاليات ما يفوق المركز، وهذا يعبر عن خوف المركز من الهامش الذي في حضوره غيابها، كما أنَّ في حضورها غيابه. [9]

تحليل دلالة العنوان مركزيًا وهامشيًا :

عنوان رواية " حدائق الرئيس" يشير إلى بنيتين دلاليتين : الدلالة السطحية ذات المدلول الصريح تشير إلى أنَّ الرواية تدور أحداثها في مكان صريح التي أضيفت إلى شخصية سياسية لها دلالة مركزية لما فيها من تجسد قيم السلطة والقوة والهيمنة على الآخر،تقود البلد ويظهر من خلال بنية العنوان أنَّ هذه الشخصية تهتم اِهتمامًا كبيرًا بالحدائق، وتشير لفظة " حدائق " أنَّ محور السرد ونقطة اِنطلاقته التي ستبدأ منها بؤرة الحكاية هو من ذلك المكان الذي يشهد أسرارًا غامضة سيحكي عنها السرد بعد أن يقوم السارد بوصف تفاصيل ذلك المكان الذي يتوقع المتلقي أنَّه مكان تملؤه الخضرة والأزهار بشكل لا يماثله شيء آخر كونها ستكون البؤرة التي سينطلق منها السرد أو البؤرة التي ستدور حولها أحداث الرواية ، وحين يغوص القارئ في أحداث الحكاية ستتشكل عنده صدمة بفعل سياسة العنف والترهيب، إذ يظهر النص السردي قيمة معاكسة لما يظهره من جمال ورِقّة توحي بوهج الحياة وفيض النعم لتعكس ما يضمره من دلالات الموت والقهر والطاغوت تجاه الأبرياء الذين طمرهم تحت رفات الحديقة.

المركز والهامش سياسيًا :

مركزية السلطة وهامشية الشعب :

تصور الرواية واقعًا سياسيًا يرزح بالظلم والطغيان، فمن يملك بيده القوة يسوق الشعب سوقًا نحو هاوية سحيقة تهدر فيها كرامة الإنسان ويسحق تحت معاول الموت .

ونجد أنَّ الواقع السياسي الذي تموج به السلطة تتبوّأ مساحة واسعة من السرد الروائي، فالسلطة السياسية

تتحكم بمقدرات الشعب وتستغل الحشود البشرية لتجعل منها وقودًا للحروب التي تؤججها، لتحرق الأخضر واليابس ويقتل مَنْ قُتِل ويعيش مَن يعيش ليكتب له أن يعيش على أنقاض الماضي الذي قتل كل الأحلام والآمال الجميلة وداس عليها ببسطال الحرب .

ونجد أنَّ رواية (حدائق الرئيس) قد اِنطوت على بنية عميقة فهي لا تشير ببنيتها السطحية إلى مكان ينطوي على أشجار ونباتات وورود تعبر عن اهتمام السيد الرئيس بكل ما هو جميل ورائع في الحياة وإنما ينطوي على وحشية وبشاعة ما تحمله وتكنّه تلك الشخصية تجاه شعبها فعكست واقعًا مظلمًا واِلتذاذًا بترهيب الشعب الذي يقبع تحت سلطته، فهم كالضحية بيد الجلاد ما إن يرفع السوط حتى تجده يركع مستسلمًا لمصيره المحتوم .

فسلطة الرئيس القائد تقدم نفسها بوصفها تمثل الثقافة الشرعية لـ " تؤسس ذاتها في مجرى التاريخ، وتقضي على آمال الآخرين بالصعود والتقدم، فلا تمنحهم فرصة أو مقدرة للتعبير عن ذواتهم، فهم في عُرْفها حثالة صراع البقاء، وآخر التشوهات في الجسد الاجتماعي القائم على الهيمنة والتراتب، وهم كمهمشين لا يستحقون الاحترام كبشر، بل لا يستحقون الانتباه بسبب تجريدهم من تاريخهم ومستقبلهم، وجعلهم عالة على الكبار والأقوياء والمراكز؛ لتفريغ فائض القوة، وتسويغ وجودهم الاجتماعي بالعطف والشفقة والإحسان على الكائنات المهمشة. [10] "

وهذه القوة والهيمنة التي انماز بها المركز إنَّما جاءت نتيجة سطوته على الهامش وإحساسه بالفوقية والتعالي على الآخر الذي قمعه بكل الوسائل ليبقى أطول مدة ممكنة، وقد نقلت لنا هذه الرواية صورة الوطن الحقيقي وواقع الإنسان المهمش، واِستخدم الكاتب أسلوبًا مباشرًا ليعبر عن الصراع الذي أدخل الوطن في متاهة دموية/ الحروب مع دول الجوار، فيذكر أفعال القائد/ صدام ويوجه له أصابع الاتهام ويحمله نتائج هذه المأساة التي أكلت الأخضر واليابس، وقتلت العديد من الجنود العراقيين، فالقائد اِستبدل اِنتماء الوطن بانتماء الحزب، وكل من تسول له نفسه الخروج عن هذا الانتماء، يصبح خائنًا لوطنه وقضيته، وقد اِستخدمت السلطة المركزية العنف الذي خرج من إطار الحزب الواحد الذي ساد فيه وكبتت حرية الإنسان بطغيان سياسة الهيمنة وإلغاء الآخر، وسيادة العنف في السلطة أدى إلى تأزيم الوضع، ممّا أدى إلى اِنتهاج سياسة الإرهاب ضد عموم الشعب، فتسرب الخوف إلى اللاوعي عندهم، فالسلطة السياسية المتمثلة في شخص الرئيس القائد / المركز كان له أثر في نسج خيوط المأساة التي وقع فيها الشعب ضحية، فها هو إبراهيم الذي شارك في حربين خرج منها بقدم واحدة، تضطره الظروف إلى العمل في العاصمة/ المدينة ليكون على تماسٍ مباشر مع الأحداث والأساليب الدموية التي ينتهجها الرئيس ضد مختلف صنوف الشعب : عسكريين، مدنيين ، وقد انعكست هذه الأحداث على شخصية إبراهيم ليصبح أكثر عزلة ووحدة واِنطواء، وقد كشف عمله في حدائق الرئيس عن الوجه الآخر للسلطة السياسية

المركزية، يقول الراوي واصفًا على لسان إبراهيم المشاهد اليومية المتكررة للجثث : " رأى جثثًا مذبوحة وأخرى ثقبها الرصاص كغربال فكانت تسربله بدمها الشاخب عليه حين يحملها، بعضها لم يجد فيها أكثر من طلقة واحدة في الرأس أو في القلب، الثقوب في جثث أخرى كانت بمثقاب (دريل)، ثقوب أخرى بالمسامير أو طعنات سيوف، رأى حروقًا بسجائر وغيرها، نتلاً بالكهرباء خوزقة، بعضها قطعت أعضاؤها التناسلية، استلت أظافرها قطعت ألسنتها، صلمت آذانها، جدعت أنوفها، كسرت أصابعها، نتف شعرها حيًا وتورمت جلدة الرأس، عيون فقئت، جلود شرحت بخطوط ورسوم بشفرات حلاقة، أخرى سلخت حية . [11]"**....** هذه الأساليب الوحشية اللا إنسانية التي انتهجتها السلطة السياسية تعبر عن ذروة التسلط والقمع وانعكس أثر هذه الأحداث على الشخصية الروائية التي بدت منقادة خاضعة للمركز بحكم هيمنة الخوف والهلع .

وينقل لنا النص السردي معاناة الهامش في ظل الحكومة الممثلة بشخص الرئيس المستمرة بقمعه على مدار زمني طويل، وقد نقل لنا الروائي معاناة الهامش من سلطة المركز في إطار القرية (مجتمع صغير) بوصفها مساحة تضم رقعة سكانية صغيرة مقارنة بالمدينة ليوضح حجم المعاناة التي تكبدتها في ظل سلطة جائرة، لذا نجد أنَّ السرد اِهتم بسرد تاريخ بعض الشخصيات منها (عبد الله، إبراهيم) وآبائهم وذكر صفاتها المعنوية التي تمتاز بها لأثرها في مجرى الأحداث، وقد كانت الشخصيات في الرواية تعبر عن فئة اجتماعية يدين من خلالها المؤلف الواقع ويعبر عن مفاهيمه القيمية من خلالها، فالرواية "نص أدبي يصور الواقع بلغة مكثفة، تسمح للقارئ بتقديم تأويلاته، بناءً على ما يحمله من فكر ثقافي، واجتماعي وواقع نفسي . [12]"

ونجد أنَّ السرد لم يفصح عن اسم الرئيس المقصود في الرواية، وهذا الإخفاء يعبر عن هيمنة الفكر المسيطر وشلّه لإرادة الأفراد حتى إنَّهم يستعملون لغة الرمز في الكلام خشية من الآخر الذي يترصد بالشعب ويكمن له بين الحين والآخر، لذا نجد أنَّ الشخصيات الروائية ولا سيما منها المحورية التي تؤدي أثرًا فعالاً في تحريك السرد (عبد الله، إبراهيم، طارق) فهذه الشخصيات على ما تحمله من واقعية تعبر عن رمزية لتترجم الواقع بمضامين معبرة.

وتترجم الشخصيات الثلاث واقع حال الشعب خلال المدة التي حكم بها الرئيس البلاد فعانى ضراوة الحرب وخشونة العيش وقاسى مرارة الظلم في مقابل من تنعم بخيرات البلاد متمثلة بشخص الرئيس وجلاوزته، وعلى الرغم من دلالة السرد الواضحة بأنَّ المقصود هو (صدام حسين) وتمثله لأفعاله على مدار السرد من خلال أثره في تسليط الحرب على الشعب الذي ذاق لهيبها، نجد أنَّ لسان حال الشعب هو الخضوع لأوامره ونواهيه لتسلط جلاوزته عليه، وتتبع الرواية أخطاء السلطة المركزية السياسية والعسكرية .

وهكذا نجد أنَّ السلطة السياسية قد استخدمت عددًا من الوسائل لتهميش الشعب، منها :

- تكميم الأفواه
- سياسة القوة
- سلطة الحرب
- القتل والتدمير

فالمركز ممثلاً بالرئيس يقوم بتهميش الشعب فيمارس عليه القهر والتمييز والتغييب، وقد تبنى في سبيل ذلك مختلف وسائل القهر والاحتقار لضمان السيطرة، وقد اِقتصرت النظرة إليه نظرة دونية فهم التابع/ الشعب وهو المتبوع ، فالسياسة التي اِتبعها المركز من الظلم والعدوان وتقييد الحريات سياسة تهدف إلى إلغاء الآخر وإضعاف قدرته على المواجهة.

وإذا ما أردنا أن نلقي ضوءًا على شخص الرئيس في الرواية فتبدو الشخصية واضحة من خلال هيمنتها في السرد، فكل شيء يدور من أحداث سياسية واجتماعية وثقافية إنَّما يكون بتأثير تلك الشخصية بفعل القوة التي تنتهجها في التعامل مع الشعب، فالرؤية السائدة هي رؤية أحادية وكل ما عداها مرفوض إذ إنَّ " أفكارها وما تخطه من أساليب وطرق هو الصواب، فهي تؤمن بالرؤية الواحدة التي لا تقبل الريبة والشك.[13] "

ومن الأساليب التي تتبعها السلطة لتسلط الضوء عليها بهدف كسب ولاء جماهيري واسع هو قيامها بتقريب فئة الفنانين والأدباء التي يبرز فعلها بتضخيم صورة الرئيس وتفخيمها كنوع من كسب التبعية، وقد تقوم السلطة السياسية ببث الرهبة النفسية في نفوس هذه الفئة، فقد شاهد إبراهيم وهو يعمل في حديقة الرئيس موقفًا أذهله وجعله في حالة من الخوف حين أقدم الرئيس على ترهيب أحد الفنانين قبل قتله وهو الموسيقي الشهير " نبيل " الذي كان حسبما يروي الراوي يعزف للرئيس ألحانًا بطريقة تظهر الخوف النفسي المعتمل في داخله : " كان الموسيقي يتصبب عرقًا لأنَّه يرتدي بذلة رسمية وربطة عنق . يرتجف ومع ذلك يعزف ألحانًا هادئة، أغلبها من التراث الشعبي، ولكنه سرعان ما يقطع عزف مقطوعته في منتصفها حالما يرى اصبع الرئيس أمامه يشير بدائرة في الهواء . [14]"

ويوضح السرد طريقة الخطاب الاستفزازية من قبل الرئيس تجاه الآخر بطريقة توحي بالنهاية المأساوية التي سيؤول إليها الآخر، ينقل لنا الراوي المشهد الحواري بصورة دقيقة تظهر هيمنة السلطة وغطرستها : " وضع قدمه]الرئيس[على ركبة الموسيقي فيما العود على الركبة الأخرى، وأشار له بمواصلة العزف، ثم راح يمسح أسفل نعله بقميص الموسيقي الأبيض، فركًا على بطنه بهدوء، وبعد برهة رفس العود بقدمه فسقط . سحب الرئيس ربطة العنق نحوه حتى اِنحنى الموسيقي . وقال له بنبرة هادئة .. لكنها مخيفة :

- ايييي .. شلونك يا نبيل ؟

وواصل دون انتظار إجابة :

- وكيف حال بناتك؟ كيف هو المنصب الكبير والشهرة الكبيرة والبيت الكبير الذي منحته إياك حكومة الثورة ؟

تمتم الموسيقي :

- كل شيء على ما يرام وبألف خير يا سيدي بفضل رعايتكم الكريمة، ربنا يحفظك، ربنا يحفظك .
- لا، لا، يبدو بأنك غير راض . سمعت بأنَّك تتكلم عن الحرية والديمقراطية عندما تسكر في جلساتك الخاصة .
- كلا، كلا .. أبدًا يا سيدي فأنت الحرية وأنت الديمقراطية وأنت ..
- قاطعه مقدّمًا إليه الكأس الآخر باليد الأخرى، وفي الوقت نفسه مزيدًا من شدة سحبه لربطة العنق ومن فرك نعله في صدر الموسيقي .
- أ تشرب؟ قالها بهدوء، ثم صارخًا :
- اِشرب .

وما أن هم الموسيقي بمد كفه مرتجفًا حتى ألقى الرئيس بما في الكأس على وجهه . [15]"

هذا المشهد الذي اِنتهى بقتل الموسيقي بعد أن أمطره الرئيس بوابل من الخوف في صورة تراجيدية ساخرة تشهد اِلتذاذ الرئيس بتعذيب من يحاول أنْ يطنطن بقول أو فعل مشكوك فيه.

إنَّ تحول القيم الأصيلة واِنتشار وهيمنة حالات الفساد أثر على الحالة الفكرية والنفسية لدى الشعب ممّا جعل الغربة هي السمة الغالبة التي تمثلت بعدم القدرة على الانسجام مع العصر وهيمنة حالة من اليأس في داخلها.

نجد أنَّ الشخصيتين المحوريتين (عبد الله، وإبراهيم) اللتين عايشتا ما مرّ به البلد من حروب وكانتا شاهدين على مآسٍ ودمار خلفته الحروب، فقصمتا وأهلكتا الشعب لما لأثرها من اِستنزاف لمقدرات الشعب وحالات التشوه التي تصيب أفرادها بفعل اِحتكاكهم بموادها السامة المؤثرة في جسد الضحية، لذلك نجد أنَّ الواقع السياسي يلقي بظلاله الثقيلة على وجه الحياة فتموج الحياة بواقع تسيطر عليه سلطة سياسية تتحكم في مصير الإنسان وزجه في حروب شرسة تدمر كل شيء جميل في حياته.

إنَّ الكتابة عن تاريخ الضعفاء والمهمشين، إنَّما قصد من ذلك هو إعادة كتابة تاريخهم من جديد، فلم يكن هناك بطلاً واحدًا وإنَّما وقف أبطال آخرون من عامة الشعب ، وبذلك تكشف الرواية عن فضاءين مختلفين، يتمثل الأول بالسلطة السياسية المركزية ، والآخر بالشعبي، وهذا يتيح للمتلقي أنْ يكون على وعي بالتاريخ السياسي والاجتماعي، فالأقوياء يتصارعون على الحكم، ولكنهم لا يأبهون للشعب الذي

يسقط ضحية ممارساتهم الجشعة، لذا ألقى الروائي الضوء على فئة بسيطة من الناس فأصبح (جنديًا) في زمن الحرب فدفع ثمنًا باهظًا لتلك المعارك ليسقط إما قتيلاً أو معاقًا أو فاقدًا لذاكرته أو أثرت على وضعه النفسي، فالمؤلف الضمني يعبر عن موقف ايديولوجي يتمثل في إدانة اِستغلال القوى المسيطرة للمهمشين .

ونجد أنَّ الرجل هو محور مركزي دار حوله السرد فلم تحاول الرواية أنْ تنتهج سياسة شمولية لتبين الواقع في كيان إنساني يجمع الرجل والمرأة تحت سقف واحد، وإنما أطلت على نحو رئيس وبشكل خاص نحو الرجل فيما عدا شيئًا يسيرًا سلطت الضوء فيه نحو المرأة.

مثلما تحاول الرواية أنْ تسلط الضوء على المكان الذي تستظل وتعيش فيه الشخصية ألا وهي القرية أصغر مكان ممكن أنْ يضم عددًا محدودًا من الناس.

فمن ذلك الشق من الأرض الذي وجد فيه عبد الله من أم وأب مجهولين إلى أن قام من وجداه في ذلك الشق بتربيته (جاسم ومريم) ترعرع في القرية وعُرِف هو وإبراهيم وطارق بـ (أبناء شق الأرض) لتلاحم وقوة العلاقة التي تربطهم .

عانى كلاً من (عبد الله وإبراهيم) وقاسا الحربين، الأولى تمثلت بالحرب مع إيران راح فيها عبد الله أسيرًا لدى إيران طوال سنوات متعددة قاسى فيها ما قاسى من أيام مهولة نبت أثرها في ذاكرته، أما إبراهيم فقد ظل طوال الحربين بين صفوف المقاتلين وشهد وقوع المجازر التي حدثت بعد اِنسحاب الجيش من الكويت وبعد سلسلة من التفجيرات التي قامت بها الجيوش المتحالفة أصيب إبراهيم وفقد ساقه من بين الجرحى الذين لا يعلم بمصيرهم وما آلوا إليه.

إنَّ الحرب كانت لها سلطة وسطوة على الشخصيات الروائية فتحكمت بمصير الشخصيات ممّا جعل منها حاجزًا أمام تحقيق الأحلام والطموحات التي يرغب الإنسان بتحقيقها، وأنَّ " ما تطمح إليه السلطة من كل ذلك هو اِستقطاب مختلف الشرائح وخلخلة النسيج أو البنية الاجتماعية، لخلق كيانات اجتماعية تعلن عن تحالفها المطلق مع هذه المنظومة السياسية الجديدة، وتذعن لأهدافها ومراميها الاستبدادية [16]"

.

فكانت الحرب معادلاً للموت الذي ينتظره الإنسان، يقول عبد الله عن الحرب : " أية حرب هي خطأ أصلاً، بل جريمة، الوجود نفسه بالنسبة لي خطأ، أو على الأقل وجودي أنا هو الخطأ في هذا العالم.[17]"

تنطوي شخصية عبد الله على جانب من اليأس والتشاؤم لذلك عرف عندهم بلقب عبد الله كافكا

وهذا الاندماج في التسمية بين شخصيتين عرفتا بالتشاؤم أطلقها طارق على صديقه عبد الله لشبهه الشديد بها لذا يقول الحقيقة التي يحملها في داخله عن الحرب : " في الحقيقة كل الحروب تقليدية في النهاية، ما دامت جلّ أهدافها هي أنْ يقتل بعض البشر بشرًا آخرين . [18]"

وإبراهيم خير شاهد على تلك الهامشية : " وقد تنقل هو على اِمتداد الجبهة الطويلة طوال أعوام الحرب الثمانية شاهدًا على موت المئات ممن عرفهم، وخراب المدن والإنسان والدواب والنبت وجنون النار والحديد، كان مستسلمًا لقدره مطيعًا لآمريه من الضباط، لم يتغيب ولا حتى يومًا واحدًا، ولم يقصر في أداء مهمة أوكلت إليه . [19]"

وهكذا نجد أنَّ السلطة المركزية هي المهيمنة في النص السردي وقد قامت بأكثر من فعل لتظهر هيمنتها عبر اِستخدام أساليب لقمع الشعب وتهميشه فضلاً عن الحروب التي خاضها الرئيس جعلت الشعب يعيش في دوامة يقدم أبناءه واحدًا تلو الآخرقربانًا لتلك الحروب، كما يحكي النص السردي قصة خضوع المجتمع/ الهامش للسلطة المركزية التي يتمثلها القائد وقام بإبادة الشعب وإخضاعه لقرارات خاطئة وحروبٍ أودت به إلى هاويةٍ سحيقة ظل يدفع ثمنها على مدى سنوات، فالمبادئ والقيم التي سار عليها هي مبادئ وقيم تخالف ما تعارف عليه المجتمع كونها منحرفة وبعيدة عن القيم الأصيلة التي يطمح إليها الشعب مما أثر على الحالة النفسية والفكرية لعموم الشعب مما جعلهم يصابون أو يحسون بالغربة وعدم القدرة على الانسجام مع العصر الذي يعيشون فيه .

مركزية الموت وهامشية الحياة :

تبدأ الرواية بسرد فجيعة الموت، الموت الذي أصبح علامة دلالية تشير إلى واقع يضجّ بالحروب والدمار، وعلى مدار السرد الروائي نجد أنَّ الموت قد تبوّأ مساحة واسعة من السرد اِبتداءً من البداية وصولاً إلى نهايتها، وهذه الحركة الفاعلة التي انماز بها الموت في بلد يعيش ويعتاش على الحروب والخراب جعله في وضعٍ مرزٍ في مقابل الحياة التي ما إن تتفتح حتى تخبو، لذا يبدأ الراوي في بداية السرد بسرد فاجعة الموت اِختار نهاية الحكي ليبدأ بها سرد الحكاية ليكون السرد دائريًا : " لكل رأس حكايته، لكل واحد من هذه الرؤوس التسعة عائلة وأحلام وفجيعة نهايته ذبحًا مثل مئات الآلاف من قتلى هذا البلد الملطخ بالدم منذ انوجاده وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولو كان لكل قتيل كتاب لصار العراق بمجمله مكتبة كبيرة يستحيل حتى فهرستها . [20]"حادثة الرؤوس التسعة المقطوعة (ومن بينها رأس إبراهيم) التي سردها الراوي تشي بالحتمية النهائية لهذا البلد، فالكاتب " يعكس صورة العصر الذي يحيا فيه بكل اِتجاهاته الفكرية والاجتماعية [21]"

يبدأ الموت يحصد الناس وأول مكان حصدهم فيه هو الماء عندما جرف أم زكية ووالدها وتركا ابناهما (زكية وإسماعيل) بيد المختار وزوجته زينب اللذين رعاهما وهم صغار، ونجد أنَّ (زكية وإسماعيل) يعانيان من بله منذ صغرهما، وهذا يحمل دلالة فقدان المعنى للحياة التي يعيشانها، وأنَّ إحداهما سيكون

ضحية للجلاد لتُترَك زكية وحدها تعاني دون أنْ تعي مصير الموت على نحو ما سنبين لاحقًا في المركز والهامش اجتماعيًا.

إنَّ العلامة البارزة التي لفتت انتباهنا إليها في الرواية هو شيوع ظاهرة الموت ومركزيته على الحياة التي يعيشها الإنسان حتى إنَّ نبرة اليأس والتشاؤم قد شاعت لدى بعض الشخصيات في الرواية، ومنها شخصية عبد الله كافكا التي ذكرنا نبرتها التشاؤمية كونه مجهول النسب وربما قد يكون جهله بأصله وابن مَنْ يكون؟ سببًا في شيوع ظاهرة التشاؤم عنده، لذلك أطلق عليه طارق بـ عبد الله كافكا : " لأنَّ عبد الله عادة ما يعرض الجانب القاتم لأية فكرة أو موقف أو منظر ويبدو الحزن متجذرًا عميقًا في عينيه حتى وهو يضحك، لا شك أنَّ لعدم معرفته أبويه الحقيقيين دورًا في ذلك [22] "، وكثيرًا ما نجد الراوي يتدخل عبر تعليقاته ليعبر لنا عن وجهة نظره في الشخصيات مما يعبر عن وجهة نظر الروائي/ المؤلف الحقيقي، يقول عن عبد الله : " ولو أنَّ طارق قد واصل قراءته للأجانب حتى الآن ولم ينته بالتحول إلى قراءة ما ورثه عن والده من كتب الدين لأسماه عبد الله بيكيت، حيث صار وجه عبد الله يشبه أشد صور صموئيل بيكيت كآبة وتغضنًا، غطته التجاعيد الحادة فيبدو كجلد ذبيحة مركون، أو كأرض اِنسحب عنها الماء [23]"، هذا الوصف للشخصية يعبر عمّا يعتمل في داخل الشخصية مثلما يعبر عن رؤاها وأفكارها .

وما قاساه الإنسان العراقي طوال سنوات الحروب جعلت منه كائنًا يسحق كما تسحق النملة دون أي اعتبار لوجودها، لذلك بعد غزو العراق للكويت واِنسحابه منها إثر دخول القوات الأمريكية وقصفها للجنود العراقيين يصور الراوي العليم ما حلّ بالجنود ببشاعة إنسانية قلّ لها نظير : " كل شيء على هذا الطريق كان يتحول إلى اِنفجار، حريق، دخان، أشلاء، موت.. إنَّه طريق الموت الذي يأكل كل ما يدب فيه وحوله ينعجن ببعضه محترقًا وميتًا. [24]"

عندما يكون الضحية / الجنود ضعيفًا، ويقدمه حاكمه إلى العدو على طبق من وقود يكون الدمار والموت الذي يصطبغ باللون الأحمر هو المشهد المسيطر لتتراكم الأشلاء وتتشح الأرض بالدماء، يصف الراوي المشهد الذي رآه إبراهيم وصديقه أحمد بعد اِنسحابهما منفردين في الطريق إلى البصرة عندما أبصرا رتلاً بشريًا مع آلياتهم العسكرية المنسحبة : " كان هذا الرتل البشري والآليات أطول من أنْ يتمكنا من رؤية بدايته ونهايته]....[جاءت أسراب طائرات]....[وراحت تلقي بحممها على السالكين، فكان ما أبصراه هو الجحيم الحقيقي بكل أهواله].....[تتطاير الأشلاء الآدمية والحديدية متناثرة وسط ألسنة اللهب ودوي الانفجارات، كل شيء على هذا الطريق كان يتحول إلى اِنفجار، حريق، دخان، دم، خراب، فحم، موت، موت .. إنَّه طريق الموت الذي رأيا كل ما يدب فيه وحوله ينعجن ببعضه محترقًا وميتًا " [25] .

وهكذا نجد أنَّ السلطة السياسية ممثلة بشخص الرئيس التي تمثله وتختزل في شخصيته قد ساهمت

وبشكل كبير في تهميش الإنسان العراقي وجره نحو حروب جعلت من دمه مباحًا أمام الجميع ممّا هيمن من وجود الموت الذي ما فتئ يفترس الناس/ الجنود، وقد صورت الرواية مناظر بشعة رآها إبراهيم بعد أن سقط جريحًا في الحرب عام ١٩٩١ حيث شاهد كلبًا برأس آدمي، وهو في الحقيقة كلبٌ يحمل رأسًا آدميًا مقطوعًا [26] ، وهكذا نجد أنَّ السرد الروائي يقدم لنا " الصورة النمطية نفسها التي تهيمن في الواقع، وهي من ثمة تمثل السلطة في الزمن العربي، بغض النظر عن أشكاله وأنماطه، ما دامت ملامح الصورة مشتركة وعامة . إنَّها تمثل تصورًا شاملاً للسلطة، كما تحققت في التاريخ وفي العصر الحديث، وكما تتجسد في التصور الشعبي والمتخيل الجماعي. [27]"

وتختفي مباهج الحياة وتهمش لتحلَّ محلها صورة متمركزة " القتل والفوضى والسلب والنهب في كل مكان. [28] "

فالمشهد الروائي يبدأ بالموت مثلما يختتم مشهده بالموت، فشخصية إبراهيم اِكتسبت بعدًا رمزيًا ليعبر عن العراق/ معادل للإنسان الذي شارك في الحرب وخاض تجاربه منذ بداية الحرب في الثمانينات وعاش خلال سنوات متعددة يواجه الموت بنفس مستسلمة خاضعة ولكن القدر كتب له أنْ يعيش أوجاع نفسه والآخرين مع من كان يحلم بالرجوع ليعيش حياته بعد اِنتهاء الحرب ويتزوج من حبيبته أو من يعيش الحب ويعاني من أشواقه لكن كل هؤلاء وقفت الحرب بكل أهوالها ومصائبها حائلاً دون تحقيق ما يتمنونه، فمنهم مَن مات وسيق جثة هامدة إلى أهله ومنهم مَن فُقِد ومنهم مَن شوهته الحرب وأفقدته الاستمرار في الحياة، وسرعان ما تنتهي حرب حتى تبدأ حرب أفظع منها حرب الخليج التي ساقها الرئيس وأجبر جنوده على دخول الكويت ونهب ممتلكاتها وما أن تدخل أمريكا الحرب حتى تبدأ هجمة شرسة تزهق فيها آلاف الأرواح ليعود منها إبراهيم وهو فاقد لقدمه لتكون علامة على حالة الفقد التي يعاني منها، يقول له والده : " أنا فقدت أنفي في حرب وأنت قدمك في أخرى، لا أدري أيهما أهون، فقد الأنف أم القدم؟ على كل حال، كل شيء أهون من فقد الحياة . [29] "

والد إبراهيم الذي شارك في الحرب لاسترداد فلسطين عام ١٩٤٨ وفقد فيها أنفه بعد أن ظهرت دملة فيها لها دلالة رمزية تعبر عن فقدان العرب العز والكرامة بعد خسارة فلسطين، أما فقدان قدم إبراهيم في حرب ١٩٩١فهي دلالة على فقدان من كان يسندهم أو أنَّه فقد جزءًا حيويًا كان يرتكز عليه .

لذا فإنَّ أغلب الشخصيات الروائية لم تكن ترغب بالحديث عن الحروب ومآسيها وكأنها تريد شطب هذا الجزء من حياتها، فإبراهيم : " لم يكن راغبًا بالحديث عن تفاصيل الحرب.. وكأنه يريد نسيانها، أو على الأقل عزلها عن حياته وركنها من مخزن ذاكرته، ولو إلى حين مثل أي كابوسٍ آخر. [30] "

ومعاناة عبد الله كافكا لا تقل عن معاناة إبراهيم، فهو قاسى أجواء الحرب مثلما عانى من الأسر على يد الايرانيين لينقل لنا مشاهد واقعية حدثت للأسرى على يد الإيرانيين الذين أسروهم وفتكوا بهم وعذبوهم،

فمنهم من قتل ومنهم من سجن ومنهم من تحول إلى مدافع عن العدو بعد أن كان ضده، وهكذا نجد أنَّ " الخطاب التاريخي]عنصر رئيس[من العناصر المكونة للبنية الفنية والدلالية للرواية، فعلى الرغم من الاختلاف بين الواقعي / التاريخ والمتخيل/ الرواية إلّا أنَّ الروائي إستطاع إستثمار علاقات التفاعل بينهما ليعيد صياغة الأحداث والوقائع بلغة ومنظورات زاوجت بين التاريخي والرمزي والايديولوجي لتصبح الرواية كتابة جديدة للتاريخ ركزت على التاريخ السفلي الهامشي . [31]"

مركزية الخوف :

على أثر الأحداث السياسية وما عاناه الشعب من حروب ودمار على مستوياتٍ متعددة، نلاحظ أنَّ الخوف فعل نفسي مؤثر في الشخصيات الروائية مثلما ظهر أثره واضح لدى عامة الشعب الذي لا يتمكن من التعبير عن الحقيقة/ حقيقة السلطة السياسية الظالمة، فنسق الخوف نسق مهيمن ويفعل أثره لدى الفرد، ويتضح لنا ذلك من خلال خطاب عبد الله لإبراهيم وطارق ومعاناته في الأسر على يد الإيرانيين، يقول : " كنّا رجالاً أشدّ خوفًا من الأطفال، مذعورين كفئران في طوفان، وأكثر فزعًا من دجاج في قفص ابن آوى . [32]"

لذا فقد بدت الشخصية الروائية من خلال هذا المقطع شخصية مهزومة لا تقوى على ردّ الأذى عنها كونها محكومة من قبل الآخر وتعاني الأسر، فبدا موقفها ضعيفًا، وهذا الأمر لا يقتصر على عبد الله كافكا، وإنَّما نجد أنَّ الشخصيات مغلوبة على أمرها لا تملك تغيير واقعها؛ كونها مكممة الأفواه يسيطر عليها الخوف من السلطة السياسية مختزلة بشخص السيد الرئيس، لذلك ينصح طارق عبد الله إلّا يتحدث عمّا يسرّه لهما أمام الآخرين ، يقول : " عبد الله، أنصحك ألا تتحدث على هذا النحو، تعرف ما أقصد، نحن هنا أصدقاؤك وبيننا ثقة تامة، ولكن اِحذر التكلم هكذا أمام غيرنا، أقول ذلك خشية عليك.. أنت تعرف..تعرف ما أقصد . [33] "

الحديث بالإشارة بين أصدقاء بينهم ثقة تامة دلالة على وجود الخوف المنغرس في وعيهم الجمعي، فقد ظلَّ الخوف كالكابوس الكامن فيهم .

وصف عبد الله كافكا لصديقيه المشهد في أثناء المعارك التي اِضطروا فيها إلى تسليم أنفسهم للإيرانيين؛لأنَّ مواجهتهم آنذاك تعدّ ضربًا من الانتحار، يصف لهم مشهد الأسر: " أحاطت بنا جحافل غفيرة من الإيرانيين، انقضوا علينا كانقضاض الأسود الجائعة على أرانب مرتبكة[34]"

ثم يقول : " لا أدري كيف لإنسانٍ أن يكون على هذا القدر من الفرح لأنَّ إنسانًا آخر خائف ومرتعب منه وفي قبضته، لاحقًا أدركت أنَّ قسوة الآدمي تفوق وحشية أي وحشٍ آخر. [35]"

يهيمن نسق الخوف الذي يعبر عن حالة الذل والهوان التي ذاقها الجنود العراقيين طوال مدة أسرهم لدى الإيرانيين الذين حاولوا بشتى الطرائق ترهيبهم وإرعابهم عبر اِنتهاج أساليب قمعية حيث اِنتهى بعضهم

بالموت من خلال تقييد بعضهم بين سيارتين وتقطيع جسده أو دفن بعضهم وهو حي قصد إخافتهم : " أرادوا أنْ يكون ما فعلوه عِبرة لنا، أنْ يخيفونا فوق خوفنا منذ الصدمات الأولى، وبالتأكيد حققوا ذلك [36]"

.

إنَّ فعل الهيمنة الذي مكنَّ الإيرانيين وغيرهم من السيطرة على ثلة من الأسرى العراقيين جعلتهم يقومون بأمور متعددة، منها أدلجتهم وفق الرؤى والتصورات التي يؤمنون بها، فمعظم الأحداث التاريخية التي ذكرها المؤلف في الرواية هي أحداث واقعية ذلك أنَّها تشكّل جزءًا من الذاكرة فـ " قدم النص نقدًا واقعيًا للتاريخ المنسي في تماهيه مع الواقع المسكوت عنه في الماضي والحاضر. [37]"

المركز والهامش اجتماعيًا :

مركزية الرجل وهامشية المرأة :

لم تنل المرأة حظها من السرد، وإنَّما قبعت في دائرة الانتظار/ اِنتظار الرجل، ممّا يؤكد تابعيتها للرجل وهامشيتها، فالمركز الفاعل هو الرجل، أما المرأة فتقوم بدور ثانوي، وهي في الرواية تكاد تكون ضحية للمجتمع فهي الخاسر الأكبر في معركة الحياة، فهي عاجزة عن التفاعل والتأثير في المجتمع وتقوم بأدوار نمطية تقليدية، ولم نجد سوى حالة تمرد ضعيفة قامت بها سميحة، فالمرأة تقوم" بدور التابع الذي لا يرتب على نفسه دورًا فاعلاً. [38]"

أول الشخصيات الروائية من النساء اللاتي عانين من الظلم وقهر الرجال هي زكية أم عبد الله، البنت اليتيمة التي عاشت في كنف زينب والمختار بعد موت والديها غرقًا ترعرت هي وأخيها إسماعيل وكانا يعانيان من تخلف عقلي، بعد أن نضجت زكية وأصبحت فتاة وأخذت جانبًا كبيرًا من جمال أمها، تعرضت إلى الإغواء من قبل جلال ابن المختار وأصبحت ذات حمل، بعد معرفة المختار بالأمر طرد ابنه جلال من القرية واِنتظر زكية أنْ تضع حملها ليقوم هو والشيخ ظاهر بمعاقبتها ظلمًا وعدوانًا بقتلها ودفنها قرب قبر والدها على يمين شوكة البحر، ولم تنفع توسلات زينب ولا وجود طفل رضيع وهو بحاجة ماسة إلى والدته، فدفناها بعد أنْ قتلاها برصاصة من بندقية، هذه الحادثة تتناص مع ما تعارف عليه العرب في الجاهلية وتعيد إلى الأذهان وأد البنت وهي من العادات المعروفة آنذاك، وتحمل ظلمًا اجتماعيًا للأنثى لا لشيء سوى كونها بنتًا لا ذكرًا، والبنت في العُرف الجاهلي هي وصمة عار لمن أنجبها، وقد يحمل هذا الموقف رمزية تعبر أنَّ جلال والد عبد الله والذي عُرِف بعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣ يمثل الجلاد الذي يمثل السلطة وما زكية سوى الضحية من أفراد الشعب.

ونجد أنَّ السرد يعاقب المرأة التي تخرج عن المعايير الاجتماعية، فجدة زكية وهي من إحدى القرى العراقية أحبت فلاحًا من أفراد القرية وتزوجته وهربت معه على الرغم من معارضة العشيرة، وكان

مصيرها الموت بعد أن أنجبت طفلة هي والدة زكية التي تمردت أيضًا على العرف الاجتماعي وتزوجت من أحبته لتهرب معه إلى مكان قصي عن جدها فيكافأها السرد بالموت وترك طفلين يعانيان من تخلف عقلي، ليوصل لنا رسالة تحمل نسقًا مضمرًا أنَّ من تحاول الخروج عن العرف والتقاليد الاجتماعية سيكون مصيرها لا محالة العقاب والموت .

أما سميحة أخت طارق التي أحبت عبد الله واِتفقا على الزواج، وأراد عبد الله خطبتها من والدها الشيخ ظاهر، ولكنه فوجئ بالرفض من قبل والدها، وهذه نية/ نية الرفض مسبقة لدى كل من والدها الشيخ ظاهر والمختار، فهم يعلمون ابن من يكون عبد الله، وقد شكَّل هذا الأمر صدمة عند عبد الله، اِستمرت لديه إلى ما بعد الأسر وحتى رجوعه، ونجد أنَّ سميحة التي زوجها أهلها من أحد أبناء عمومتها كانت رافضة لهذا الزواج لهذا فقد تكرر هروبها من زوجها مرات عدة اِستمر لديها حتى بعد أنْ أنجبت طفلة ممّا اِضطر زوجها إلى تطليقها لتحقق سميحة حريتها، ولم يحاول السرد أنْ يتعرف على ما تفكر به سميحة أو اِستجلاء مكنونها، فقد ظلت قابعة في زوايا النسيان تقوم بأمور تقليدية لا تُذكَر، فهي مسلوبة الإرادة، ويظهر السرد تردد سميحة نحو قراءة الروايات الرومانسية دون أنْ تكمل نهايتها وهذا يشبه قصتها مع عبد الله التي لم تتكلل بالزواج، وإنَّما ظلت عالقة دون نهاية .

ومن الشخصيات التي لفتت اِنتباهنا في السرد هي شخصية قسمة/ ابنة إبراهيم التي عرفنا منها أنَّها وهي صغيرة نفرت من والدها خصوصًا بعد فقدان قدمه في الحرب، وقد فاجأتنا بأمور لا تصدر من قروية منها اِختيارها الشخص الذي رغبت به وتزوجته، كما قامت بتغيير اسمها من قسمة إلى نسمة لامتعاضها من الاسم الذي اِختارها له أبيها؛ ممّا يعكس نوعًا من التمرد على التقاليد الاجتماعية التي باتت مرفوضة من قبلها كونها تغطي على الخاصية الفردية ويطغى المجموع ، لذا فقد بدت ذاتًا جريئة وقوية تمارس أفعالاً جريئة، تدفعها إلى الاشتراك في المعترك الاجتماعي، لذا تبدو ذات قسمة مغلفة بنزعة تمردية طافحة، تحاول التخلص من كل المتصورات الاجتماعية والوظائف التي خلفتها البنية الأسرية والاجتماعية .

وقد منحت الشخصية القوية لقسمة أنْ تفرض سيطرتها وسطوتها على الآخرين عبر ما تطرحه من آراء وأفكار كونها متسلحة بإرادة قوية ووعي ناهض وعزيمة ثابتة .

ونجد أنَّ السلطة الذكورية من خلال هيمنتها تحاول أنْ تستغل الآخر ممثلة بالمرأة فتمارس سلطويتها من خلال فعل الاغتصاب / اِغتصاب قسمة ابنة إبراهيم يمثل شكلاً من أشكال العنف الذي تستخدمه السلطة السياسية، فـ " توسع ليندرج في مصاف الرمز، فيمثل الاغتصاب هنا دلالة على اغتصاب شرف الوطن عبر رمزه المغتصبة [39]"، كما يمثل الاغتصاب " ممارسة سلطوية (سياسية) غير شرعية بحق امرأة (...)] تمثل [(جسد البلاد) يشكل العنف بأنواعه أبرز أدواتها الأساسية التي بنت عليها السلطة

السياسية خطابها الايديولوجي القامع الذي تستخدمه وسيلة من وسائلها البشعة في تحطيم الجسد والروح لهذا المجتمع الذي تتطحلب على مستنقعاته خيوط الهزيمة والانتكاسة، فتبدو الشخصيات المكونة لهذا المجتمع أشبه ببيادق جامدة تحركها ظروف الاستلاب (...) وبحسب ما تقتضيه شروط اللعبة السياسية، وتظل واقعة تحت سلطة الجمود والتحجر، عاجزة عن القيام بأي فعل يحرك ماء البركة الراكدة، ويلقي في فضاءاتها حجر الثورة والانتفاضة والرفض. [40] "

الخاتمة:

اِنفتحت الرواية العربية على الهامش، وركزت على اِستجلاء صوره وأشكاله في المجتمع من خلال تبيان تاريخ المهمشين وعلاقتهم مع المركز التي كان يشوبها الزعزعة والخلل، فابتدأ الروائي بتقديم شخصياته من القرية بوصفه مكانًا يتسم بالهامش بسبب بعده عن مركز المدينة واِفتقاره إلى أسس التطور في مجالات متعددة، وفيما يأتي نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- مثلت الشخصيات الروائية المحورية الشعب في حركتها السردية، إذ كان يبدو عليها الخضوع والاستسلام وتدور ضمن نطاق المركز الذي كان يمثل النواة والشعب المحيط الذي يدور في فلكه .
- أغلب الشخصيات الروائية كانت تعاني من الاستلاب كونها محكومة على أمرها، فضلاً عن أزمة اِنكسار نفسي سببتها لهم ظروف الحرب القاهرة وسلطة سياسية أحكمت قبضتها على رقاب الناس لتعبث فيهم قتلاً وتدميرًا .
- سطوة المركز على الهامش بأصنافه كافة : المدني، العسكري، الفئة الفقيرة ليضمن اِستمراره ووجوده وكسب الولاء له يعكس ضراوة الصراع الكامن في ذهن المركز/ السلطة السياسية للإبقاء على السلطة في يده فمارس سياسة التغييب والقمع بحق الآخر/ الشعب .
- يمثل الموت مركزية مهيمنة في السرد، كما شكّل بؤرة دلالية اِستسلم لها الهامش بحكم خضوعه إلى السلطة السياسية التي عاثت في البلاد موتًا وقتلاً وتدميرًا .
- لم يحاول النموذج الهامشي/ الشعب الخروج من هامشيته وأن يقلب كفة الميزان لصالحه، فعانى من أزمات جسدية ونفسية أثرت على حياته .
- تجرد الإنسان الهامشي / الشعب من إرادته، فهو محكوم من قبل طرف آخر / السلطة السياسية التي ألغت وجوده وساقته في الحروب سوق العبيد فتاهت الذات في خضم أزماتها .
- وفي إطار العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة عانت المرأة من هامشية واضحة في حياتها، فهي الآخر الذي يعتوره النقص، ومحاولاتها التمردية كانت فاشلة ذلك أنَّ المنظومة الاجتماعية كانت تقتص منها بالموت إن حاولت الخروج عليها .

- الشخصية الأنثوية الوحيدة التي انمازت بالتمرد هي قسمة ابنة إبراهيم التي بدأت تغير من نظام حياتها لتتحرر من أسر التقاليد فغيرت اسمها وإختارت رجلاً له مكانة مركزية لتتخلص من الهامش، ولكن محاولاتها كانت تبوء بالفشل، فالسلطة السياسية تغتال أحلامها لتزرع في أحشائها طفلاً يحمل اسمها، ممّا يحمل دلالة إستمراريتها وهيمنتها.
- حملت الشخصيات دلالات رمزية وايديولوجية، ليعبر مصيرها عن النهاية الحتمية لشعب عانى منذ أن وجد على وجه الخليقة، فطارق يمثل رجل الدين، وإبراهيم يعبر عن نموذج إنساني يمثل عامة الشعب، أما عبد الله صاحب النزعة التشاؤمية فيمثل حالة الاغتراب والانكسار النفسي التي إعتملت في داخل الإنسان بفعل سلب حقوقه الإنسانية فحرم وصاحبته النزعة التشاؤمية طوال السرد .

: الهوامش

(١) ينظر : ويكيبديا الموسوعة الحرة ، منشور في شبكة المعلومات .

(٢) لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، مج ٦ : ٢١٤ .

(٣) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، دار الدعوة، اسطنبول- تركيا، ١٩٨٩ : ٣٦٩ .

(٤) لسان العرب ، مج ١٥ : ٩٢ .

(٥) المعجم الوسيط : ٩٩٤ .

(٦) المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، دليلة الباح، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ٢٠١٥/٢٠١٦ : ١٤ .

(٧) م . ن : ١٤ .

(٨) ثقافتا المركز والهامش والراهن العربي ، نادية هناوي ، مقال منشور في شبكة المعلومات، ٢٠٢٠ .

(٩) م . ن .

(١٠) الهامش الاجتماعي في الأدب " قراءة سوسيوثقافية"، د. هويدا صالح، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٥ : ٧٠ - ٧١ .

(١١) حدائق الرئيس، محسن الرملي، ثقافة للنشر والتوزيع، الإمارات، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٢م : ٢١٥ .

(١٢) المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح : ١٤٩ .

(١٣) المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، جيجخ صورية، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ٢٠١٥/ ٢٠١٦ : ٢٢ .

(١٤) حدائق الرئيس : ١٨٥ .

(١٥) م . ن : ١٨٥- ١٨٦ .
(١٦) السلطة في الرواية العراقية، ، أحمد رشيد وهاب الدده، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢١/٢٠١٠: ١٣٠ .
(١٧) حدائق الرئيس : ٩٣ .
(١٨) م . ن : ٥٤ .
(١٩) م . ن : ٤٥ .
(٢٠) م . ن : ١٠ .
(٢١) عتبة الهامش وفاعلية الخطاب السردي في رواية " برقوق نيسان" للكاتب غسان كنفاني، خليل قطناني، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد ٣٣، ٢٠١٩ : ٢٨ .
(٢٢) م . ن : ١٨ .
(٢٣) حدائق الرئيس : ١٨ .
(٢٤) م.ن : ٥٦ .
(٢٥) حدائق الرئيس : ٥٦ .
(٢٦) م. ن : ٥٨ .
(٢٧) قضايا الرواية العربية الجديدة ، سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،ط١،١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ : ١٧٥- ١٧٦ .
(٢٨) حدائق الرئيس : ٦٢ .
(٢٩) م. ن : ٦٨ .
(٣٠) م . ن : ٤٦ .
(٣١) مركزة الهامش في رواية السيد أصغر أكبر لمرتضى كزار، ميثاق حسن عطار الركابي، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، ٢٠١٨ : ١٦٥ .
(٣٢) م. ن : ٩٥ .
(٣٣) م.ن : ٩٣ .
(٣٤) م.ن : ٩٤ .
(٣٥) م.ن : ٩٤ .
(٣٦) م.ن : ٩٥ .
(٣٧) مركزة الهامش في رواية أصغر أكبر لمرتضى كزار : ١٦٥ .
(٣٨) السرد النسوي "الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد"، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأردن، ط١، ٢٠١١: ٢٧ .
(٣٩) السلطة في الرواية العراقية : ٧٩ .

(٤٠) م. ن : ٩٧ .

Sources and references :

- President gardens , Mohsen al- ramly, culture for publication and distribution, emirates, t2,1434 ah/ 2012m .
- Feminist narration " parental culture, female identity, and the body", dr. Abdullah Ibrahim, arab foundation for studies and publishing, Beirut, Jordan, I 1, 2011. President .

- Issues of the new Arabic novel, saeed yektan, arab science house publishers, Beirut, I 1 133133/ 2012 m .
- And the social margin in literature " reading sociocultural", d. howaida salih, a vision for publication and distribution, cairo, I 1, 2015 wesan al- arab, ibn manzur abu al- fadl jamal al- din muhammd bin makram, dar sader, Beirut, lebanan, ta, 2000 .
- The intermediate dictionary, a group of authors, dar al- dawa, istanbul-turkey, 1989 .
- The social margin in the literature " sissiotechnical reading" , dr. howeida saleh, a vision for publication and distribution, cairo, t1, 2015 .
- Lisan al-arab, ibn manzoor abu al-fadl jamal al-din muhmmad bin makram, dar sader, Beirut-lebanan, 1st, 2000 .
- The lexical dictionary, a group of authors, dar al-dawa, Istanbul-turkey, 1989 .

Thesis, theses, and tertiary :

- Power in the Iraqi novel, ahmed rashid wahhab al-dedda, phd thesis, college of education, university of Babylon, 1410/ 2010 .
- The center and the Margin in the literature of Issa lahleh, dalilah al-baha, phd thesis, Muhammad khidir university, biskra, 2015/2016 .
- The center and the margin in the novels of ezz al-din jalaji, jajaj fictitious, phd thesis, university of Muhammad khader- biskra, 2015/ 2016 .

Magazines :

- Threshold margin and the effectiveness of narrative discourse in the novel " Plumen Nissan" by ghassan kanafani, Khalil qatanani, an-najah university Journal for research(humanities), volume 33, 2019 .
- Margin focus in the Novel of Youngest Biggest by morteza kazar, hassan attar al-rikabi Charter,M uthanna University College of Education for Humanities, Uruk Journal for Humanities, 2018 .

Articies published :

- The cultures of the center, the margin, and the current arab, nadia hanawi, published article in the information network .
- Wikipedia the free encyclopedia, published article in the information network .